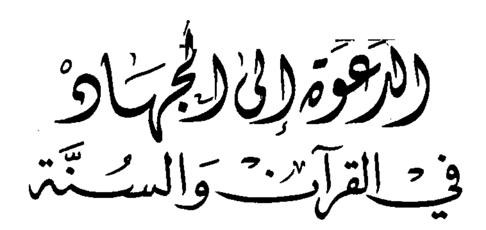


محاضرة

لسماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

ألقيت بتاريخ ٤/١٢/١٣٩١ في رابطة العالم الإسلامي
بمكة المكرمة بطلب من الأمانة العامة للرابطة

دار البخاري
للنشر والتوزيع

القصيم - بريده
الجامعة الإسلامية - المدينه المنورة
ت: ٨٢٦٧٠٦٨ - ص.ب: ١٧٩٢

ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهـــم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيـــل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيـــل والقرآن ، ومن اوفى بعهده من الله ، فاستبشـــروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع الجهاد بالقلب ، واليد واللسان ، وجعل جزاء من قام به الغرف العالية في الجنان ·· وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين والمأمور بقتال المشركين ، جاهد في الله حق جهاده ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فكانوا هم السادة الغالبين ··

أما بعد : فمعلوم ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد مع المشركين منذ بعثه الله عز وجل ، وأكرمه بالرسالة الى ان توفاه الله واختار له ما عنده ، فكان يغشى الناس فيمجالسهم في أيام المواسم وغيرها ، ويأتيهم في أسواقهمفيتلو عليهم القرآن ، ويدعوهم الى الله عز وجل ، ويقول:

« من يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة » ، فلم يجد أحدا ينصره ولا يؤويه ..

واستمر يدعو الى الله ، ويصبر على الأذى ويصفح عن الجاهل مدة ثلاث عشرة سنة ، لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفاء بوعده الذى امتن عليهم به في قوله : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)**.

فاستمر الناس في الطغيان ، وما استدلوا بواضح البرهان ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه ليفتنوهم عن دينهم ، وحتى نفوهم عن بلادهم فمنهم من فر الى أرض الحبشة ،ومنهم من خرج الى المدينة ومنهم من صبر على الأذى من حبس وجوع وعطش وضرب حتى ان الواحد منهم ما كان يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب..

لقد جعلوا في عنق بلال حبلا ، ودفعوا به الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به شعاب مكة .. وما لاقاه آل ياسر من العذاب يفوق ما يحتمله البشر .

وآذت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحاصروه في الشعب ، وحاول عقبة بن أبيٍ معيط ان يخنقه مرة ٠٠ وما زال يشد ثوبه عليه حتى جحظت عيناه ، وأسرع أبو بكر فخلصه وهويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله٠٠ وحاول ابو جهل قتل الرسول ، وهو بالمسجد يصلي فحمل حجرا ضخما ليلقيه على رأسه وهو ساجد ، ولما هم بالقائه رجع مذعورا ٠٠ وقال : اعترضني دون محمد فحل هائل من الابل ، هم أن يأكلني ٠٠٠

ولما أراد الله اظهار دينه وانجاز وعده ، ونصر نبيه ، أمره الله تعالى بالهجرة الى المدينة ،فاستقر صلوات الله وسلامه عليه بها، وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين فمنعته أنصار الله وكتيبةالاسلام من الاسود والاحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والابناء والازواج٠

وكان أولى بهم من أنفسهم فرمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ٠

أذن الله لهم حينئذ في القتال ، ولم يفرضهعليهم فقال :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله ••)

أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غـــير قتال ، ولكن الله يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته كما في قوله تعالى :

(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب• حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها • ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهمولكنليبلوا بعضكمببعض ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهـــم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم)•

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم)

ثم انزل الله في « سورة براءة » الامر بنبذ العهود وأمرهم بقتال المشركين كافة ، وأمر بقتال اهـل الكتاب اذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يـد وهم صاغرون ..

ولم يبح لهم ترك قتالهـم ، وان سالموهـم وهادنوهم هدنة مطلقة مع امكان جهادهم ..

فكان القتال ممنوعا ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به ـ لمن بدأهم بالقتال ـ ثم مأمورا بـه لجميـع المشركين .. ـ كما في سورة البقرة ، وآل عمران، وبراءة ... وغيرها من السور ـ

أوجب الله على المسلمين القتال ، وعظم أمـر الجهاد في عامة السور ـ المدنية ـ كما في قولـه تعالـى :

(انفروا خفافا وثقالا ، وجاهـدوا بأموالكـم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكـم ان كنتـم تعلمون ..)

وقـــال :

(كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعســى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكــم ، وعسى ان تحبــو شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

فالقتال : وان كان مكروها للنفس بطبيعتها لما فيه من التعرض للقتل ، والاسر وتشويه البدن واتلاف المال وتدمير المصانع ، وتخريب البـــلاد واشاعة الرعب ، والفزع في النفوس ، والاخراج من الاوطان ..

فقد رتب الله عليه من الأجر ، والفوز ما لا يخطر على قلب بشر ...

قال عكرمة : انهم كرهوه ، ثم أحبوه .. وقالوا سمعنا وأطعنا .. وهذا لان امتثال الامر يتضمــن مشقة ، لكن اذا عرف الثواب هان في جنبه مقاساة المشقات ..

وقد تظاهرت آيات الكتاب ، وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد ، والحض عليــه،

ومدح اهله والاخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات ، لانهم جند الله الذين يقيم بهم دينه، ويدفع بهم بأس اعدائه ، ويحفظ بهم بيضةالاسلام ويحمي حوزة الدين ٠٠ وهم الذين يقاتلون اعداء الله، ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا ،وجعلهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في اعمالهم التي يعملونها ، وان باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم ، فانهم كانوا هم السبب فيه ٠٠

والشارع قد نزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر ، فكان الداعي الى الهدى والداعي الى الضلال لكل منهما بتسببه مثل جزاء من اتبعه، ويكفي في ذلك قوله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟٠٠)

فتشوقت النفوس الى هذه التجارة الرابحةالتي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم ٠٠

فقال :

(تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ٠٠)

فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها ٠٠ فقال:

(ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) ـ

يعني ان الجهاد خير لكم من قعودكم ، فقال :

(يغفر لكم ذنوبكم ـ و ـ مع المغفرة ـ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ٠٠)

فكأنها قالت : هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا ؟

فقال :

(وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ٠) ٠٠٠

فلله ما أحلى هذه الالفاظ ، وما ألصقها بالقلوب وما اعظمها جذبا لها وتسييرا الى ربها ، وما ألطف موقعها من قلب كل محب ، وما اعظم غنى

القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها ، فنسأل الله من فضله :

ومن ذلك قوله تعالى :

(اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ٠ والله لا يهدي القوم الظالمين ٠ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم ٠٠)

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يستوي عنده عمار المسجد الحرام ، وهم عماره بالاعتكاف ،والطواف والصلاة ٠ هذه هي عمارة مساجده المذكورة فى القرآن ، وأهل سقاية الحاج لا يستوون هم ،وأهل الجهاد في سبيل الله٠

وأخبر أن المؤمنين المجاهدين أعظم درجة عنده،

وأنهم هم الفائزون وأنهم أهل البشارة بالرحمة والرضوان ، والجنات ••

فنفى التسوية بين المجاهدين وعمار المسجد الحرام مع أنواع العبادة مع ثنائه على عماره ، بقوله تعالى :

(انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الاالله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ••)

فهؤلاء هم عمار المساجد •• ومع هذا فأهل الجهاد (أرفع درجة) عند الله منهم •• وقال تعالى:

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم• فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما • در منه ومغفرة ورحمة • وكان الله غفورا رحيما)•

فنفى سبحانه وتعالى التسوية بين المؤمنين

القاعدين عن الجهاد ، وبين المجاهدين ، ثم اخبر عن تفضيل المجاهدين على القاعدين درجة ، ثم أخبر عن تفضيلهم عليهم درجات ••

قال ابن زيد : الدرجات التي فضل الله بها المجاهد على القاعد سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله :

(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولامخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين) فهذه خمس •

ثم قال : (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون واديا الا كتب لهم) ـ فهاتان اثنتان •

قال ابن القيم ـ بعد ذكره لكلام ابن زيد :

والصحيح : أن الدرجات هي المذكورة في حديث أبي هريرة ، الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، فان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها٠٠ قالوا : يا رسول الله : أفلا نخبر الناس بذلك؟ قال : ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه « الفردوس » فأنه اوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة ٠

وقال ابن القيم في قوله تعالى :

(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)٠

فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث اذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ،

وعقد معهم هذا العقد ، وأكده بأنواع من التأكيد أحدهـا :

اخبارهم سبحانه وتعالى بصيغـة الخبـر المؤكد بأداة (ان)

الثاني : الاخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قـد وقع وثبت واستقر ..

الثالت : اضافة هذا العقد الى نفسه سبحانه، وأنه هو الذي اشترى هذا البيع

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه

الخامس : انه اتى بصيغة على ، التي للوجـوب اعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه

السادس : أنه اكد ذلك بكونه حقا عليه ..

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي (التـوراة والانجيل والقرآن).

الثامن : اعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار،

وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه ٠٠٠

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ، ويبشر به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ، ولا يعرض له ما يفسخه ٠

العاشر : أنه أخبرهم اخبارا مؤكدا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به ، هو الفوز العظيم ، والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ٠

وقوله : (بايعتم به)، أي عاوضتم وثامنتم به ، ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد، وتم لهم دون غيرهم ، وهم التائبون مما يكره العابدون له بما يحب الحامدون له على ما يحبون، وما يكرهون السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت : بالسفر في طلب العلم ٠٠ وفسرت بالجهاد ٠

وأفهمت الآية خطر النفس الانسانية ، وشرفها وعظم مقدارها ، فان السلعة اذا خفي عليك قدرها

انظر الى المشتري لها من هو ·· وانظر الى الثمن المبذول فيها ما هو ·· وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع · فالسلعة النفس ·· واللهسبحانه المشتري لها والثمن لها جنات النعيم ·· والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة ، وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه ··

وناهيك بهذا الفضل ·· من شرف وعلو منزلة الى غير ذلك مما اوضحه الله في القرآن من بيان اجر المجاهدين ، وتعظيم شأنهم ، وتحريك العواطف ، وطلب التضحية في سبيل الدعوة ·· وبعث القوة والشجاعة في النفوس ، وحثهم على الاقدام والثبات ·· وان الله ناصرهم وممدهم بالملائكة :

(اذ تقول للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به · وما النصر

الا من عند الله العزيز الحكيم ـ) آل عمران ٠

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ٠ وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين ٠ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) آل عمران

واخبر عما يلقاه من يستشهد في سبيل الله من الحياه وانهم عند ربهم يرزقهم ما يشاؤون وتعلو وجوههم البشارة ٠٠

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل ٠ وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم) ٠٠

وقـــال :

(الذين آمنوا يقاتلون في سبيـــل الله والذيـــن كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت .. فقاتلـــوا وليا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ..)

ـ النســاء .

وقـــال :

(فقاتل في سبيل الله لا تكلفـ الا نفسكوحرض لمؤمنين عسى الله أن يكفـ بأس الذين كفروا والله شد بأسا وأشد تنكيلا).

وقـــال :

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيـــاة لدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتـــل أو بغلب فسوفـ نؤتيه اجرا عظيما .الآيات بعدها)

فانظر يا أخي كيفـ يستثير الهمم لاعلاء كلمـــة لله ، ولحماية الضعفاء ، وتخليص المظلومين

وانظر كيفـ يقرن القتال بالصلاة والصـــــــوم ويبين انه مثلهما مكتوب على المؤمنين

وكيف يشجع الخائفين اكبر تشجيع على خوض المعامع ، ومقابلة الموت بصدر رحب ، وجنان جري مبينا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة ، وأنهم از ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة الدنيـــــ أعظم عوض ، ولا يظلمون فتيلا ...

وهذا باب واسع لم يرد في ثواب الاعمال وفضلها مثل ما ورد فيه ، ولهذا كان أفضل ما تطوع بـا الانسان ، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ومن صلاة التطوع ، وصوم التطوع ـ كم دل عليه الكتاب والسنة ـ وهو ظاهر عندالاعتبار فان نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنـــــ والظاهرة ، فانه مشتمل من محبة الله تعالـــى والاخلاص له ، والتوكل عليهوتسليم النفسوالمال له، والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنـــواع الأعمال ما لا يشتمل عليه عمل آخر ...

ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
(والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت اني أقتل في سبيل **الله ثم احيا ، ثم أقتل ثم احيا ، ثم أقتل ثم احيا، ثم اقتل ...)**

ورغب اليه صلوات الله وسلامه عليه بسيرته، وثباته وشجاعته ، وصبره ، وأخبر ما للمجاهدين في سبيل الله من الاجر والثواب العاجل ، والآجل، وما يدفع الله به من أصناف الشرور ، وما يحصل به من العز والتمكين والرفعة ، وجعله ذروة سنام الاسلام ، وقال : « ان في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة ، كما بين السماء والارض ،اعدها الله للمجاهدين في سبيله » ـ متفق عليه .

وقال : « من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار».. أخرجه البخاري .

«ولما في الصحيحين : ان رجلا قال : يا رسول الله:

أخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال لا تستطيع ٠٠ قال : أخبرني به ؟ قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تصوم لا تفطر وتقوم لا تفتر ؟ قال : لا ٠٠ قال : فذلك الذي يعدل الجهاد ».

كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه : «أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر ، تتبوأ من الجنة حيث تشاء ، وأن الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه، وأنه يشفع في سبعين من أهل بيته ، وأنه آمن يوم القيامة من الفزع الاكبر ، وأنه لا يجد كرب الموت ، ولا هول المحشر ، وانه لا يحس ألم القتل، الا كمس القرصة ، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصة ، وان القائم النائم في الجهاد افضل من الصائم القائم فيما سواه ، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النار عيناه ، وأن رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ».

اذا عرف ذلك ، فقد عاتب الله المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ،

لمتثاقلين الى نعيم الارض ، المتقاعدين عنالمبادرة
لى الخروج ..

**(يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم : انفروا
في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة
لدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة
الا قليل :).**

كما ذم التاركين له ووصفهم بالنفاق ، ومرض
القلوب وتوعد المتخلفين القاعدين بأفظع العقوبات،
ورماهم بأبشع النعوت ، والصفات ، ووبخهمعلى
الجبن والقعود ، ونعى عليهم الضعف والتخلف،
بقوله :

**(الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما
غيركم ، ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير.
الآيات بعدها).**

ولست تجد نظاما قديما ، او حديثا ،
دينيا ، او مدنيا عني بشأن الجهاد والجندية ،
واستنفار الأمة وحشدها كلها صفا واحدا للجهاد
في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا ،

كما تجد ذلك في دين الاسلام ، وتعاليمه ٠

فقد فصل الكتاب والسنة كل ما يتصل بـــــ تفصيلا عجيبا ، ووزع اعماله المختلفة ،ومسئوليات الكثيرة على جهاتها المختصة توزيعا دقيقا ، يفوق كل التنظيمات الحديثة ، والدراسات العسكرية بل ما هي الا قطرة منه ٠٠

وآيات القرآن ، وأحاديث الرسول صلى اللـ عليه وسلم فياضة بكل هذه المعاني الساميـــة داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلـوب ، فأمـــر المسلمين أن يأخذوا حذرهم من أعـداء الله ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، لان ذلـــك أول قواعد القتال ، وأعظمها شأنا ، وأن الاعداد بجميع أنواعه وأقسامه المنطوية تحت كلمة قوة : ايبريا وبحرية وجوية ، وان الاهتمام بالقوات الثابتـة والمرابطة ، كالاهتمام بالقوات المتحركة، والاهتمام بالجيش في أيام السلم ، كالاهتمام به في أيـــام الحرب ، وأن اساس الروح العسكرية ـ كمـــا يقولون ـ امران : الطاعة والنظـام وقد جمـع الله

هذا الاساس في آينتين من كتابه ...

فأما الطاعة : ففي قوله تعالى :

«ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف »..

وأما النظام : ففي سورة الصف في قوله تعالى:

(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص).

كما حث الجيوش الاسلامية على المبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ..

(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله).

ومدح الصادقين بالعهد الموفين بالوعد بقوله :

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا).

وأمر بالثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع :

(يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)•

وشجع المجاهدين في سبيله على الاقدام الحازم والشجاعة الصادقة من أول اللقاء الى آخره ••

(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق •• فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)•

(ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون،فانهم يألمون كما تألمون وترجون منالله ما لا يرجون)••

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ••)

كما أمر باستصحاب الطمأنينة ، وسكون الجوارح وطرد الاوهام ، والتخلص من الوهن والحزن ••

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) •

وأخبر بأن الله قد تكفل بنصر من ينصر دينـــه، وأنه لاعبرة بالعدد ولا بالعدة ، وانما هو الايمــان الصادق بأن النصر من عند الله··

(ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكـــل المؤمنـــون)·

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ·)

يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركـــم ويثبت اقدامكم ··)

(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون :

(وكان حقا علينا نصر المؤمنين ···)

كما أشار القرآن الى الحقيقة المعروفة وهي :

ـ أن الحرب دواليك ـ يوم لك ويوم عليك ··

(ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثلـه، وتلك الايام نداولها بين الناس ···)

وجعل المشاورة من قواعد الشريعة ، وعزائم الاحكام ، ولا سيما في الامور الهامة كالجهاد ، ومعاملة الاعداء . ومدح عباده المؤمنين على هذه الصفة بقوله :

(وأمرهم شورى بينهم).

ومع كمال عقل الرسول صلى الله عليه وسلم وتأييده بالوحي فقد أمره الله بقوله :

(وشاورهم في الامر) ولتقتدي به أمته من بعده .

كما حذر القرآن عن ارتكاب المعاصي الباطنة والظاهرة صغيرها ، وكبيرها ...

وأخبر أن نصر الله لا يتنزل على العاصين.

(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ..)

ونهى عن التنازع مطلقا على أي أمر في القتال ، وأمر بالاتفاق دائما، وأخبر ان النزاع سبب للفشل، وذهاب للريح ..

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين ..)

وحذر عن الفرار من العدو حين القتال ، وانه كبيرة عظيمة ، وتوعد الجبناء المخذلين بأنكى العقوبات ..

(يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ..)

ونهى عن غلول الغنائم ، وحذر المسلمين منه غاية التحذير ، وأنه يأتي بما غل حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله مرعوبا بصوته، موبخا بخيانته على رؤوس الأشهاد ..

(وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ..)

كما حذر عن القتال للريا ، او السمعة اوالشرف او الحمية ، او النعرات القومية ، والشعارات المزيفة ، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه: اذا أمر أميرا على جيش او سرية ، أوصاه فى

خاصته ـ بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال : « اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلـوا من كفر بالله اغزوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا »··

وكان يقول لأصحابه : ـ اذا أرادوا الغــزو ـ « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم واصلحوا ،وأحسنوا ، فان الله يحب المحسنين »·

لذلك أبلى الرسول صلى الله عليه وسلـم ، والذين آمنوا معه بلاء حسنا في نصرة هذا الديـن والدعوة اليه ، فأمدهم الله بالنصر ، وأنزل عليهم السكينة ، وأيدهم بالملائكة ، وألف بين قلوبهم، وقذف في قلوب اعدائهم الرعب ، فقاتلوا في سبيل الله عن عقيدة وإخلاص ، ونصرة لدين الله حتـى يظهره على الدين كله ، ويخرجوا الناس مـن الظلمات الى النور ، ومن عبادة العباد الى عبـادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جـور

الاديان الى عدل الاسلام ، وعرفوا أن الله قدضمن لهم النصر ، ووعدهم بالفتح ، فوثقوا بنصر الله، ووعد رسوله ، واستهانوا بالقلة والكثرة ، واستخفوا بالمخاوف والاخطار ، وذكروا قول الله تعالى :

(ان ينصركم الله فلا غالب لكم) •• وأنهم جند الله، وانهم يقاتلون في سبيل الله ، وأن الله ناصرهم ومعينهم وخاذل لأعدائهم ، لانهم يقاتلون في سبيل الشيطان ٠

هذا عمر بن الخطاب استشار أصحابه في مسيره الى العراق بوقعة نهاوند قال له علي بن ابي طالب : يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لم يكن نصره ، ولا خذلانه بكثرة ، ولا قلة هو دينه الذي أظهر ، وجنده الذي أعزه ، وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده ٠

وهذا خالد ابن الوليد ، لما أقبل من العراق ـ قال رجل من نصارى العرب لخالد : ما اكثر الروم

وأقل المسلمين ، فقال خالد : ويلك ؟ أتخوفني بالروم ؟، انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الاشقر برأ من توجعه ، وأنهم أضعفوا في العدد ، وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق ٠

وكانوا يخاطرون بأنفسهم ، ويأتون بأعاجيب وأعمال خارقة للعادة ثقة بنصر الله ، واعتمادا على موعوده ـ كما حصل للجيوش الاسلامية بقيادة سعد بن ابي وقاص ـ فقد وقف أمام المدائن ولم يجد شيئا من السفن ، وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة، وأسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ٠٠ فخطب سعد الناس على الشاطىء، وقال : الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم ، فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل ٠٠ ثم اقتحم بفرسه دجلة ، واقتحم الناس ، لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كانما يسيرون على وجه الارض حتى ملاؤا ما بين الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون

على وجه الماء كما يمشون على وجه الارض، فلما رآهم الفرس ، قالوا : ديوانه ديوانه يقولـــون : (مجانين ـ مجانين) ثم قالوا والله : ما تقاتلـــون انسا بل تقاتلون جنا ، وجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، ان لم يكن فـــي الجيش بغي ، أو ذنوب تغلب الحسنات ..

نعم كانوا يتخوفون من ذنوبهم ، ومن معاصـــي الله أكثر مما يتخوفون من عدوهم ، ومن كثـــرة عدده وضخامة عدده نجد عمر بن الخطـاب رضي الله عنه يقول : في كتابه لقائده سعد بن ابي وقاص ـ لما أرسله الى فتح فارس ـ :

« أما بعد ، فاني آمرك ومن معك من الأجنـــاد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضـــل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة على الحـرب ، وآمرك ومن معك من الأجناد أن تكونـوا أشـــد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فان ذنـوب الجند أخوف عليهم من عدوهم، وانما ينصر المسلمون

بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذنت لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة، والا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا نقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ـ كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ـ واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم » ١٠٠ اـ هـ

فتمسك المسلمون المجاهدون بما ذكر هذا الخليفة الراشد ، وكانوا كما وصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم ، فقال : «جئتك من عند رجال دقاق ، يركبون خيولا عتاقا، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، لو حدثت جليسك حديثا، ما فهمه عنك لما علا من

أصواتهم بالقرآن والذكر ، قال : فالتفت الى أصحابه وقال : أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به ».

وهذا عقبة بن نافع ، أراد أن يتخذ مدينة في افريقية يكون بها عسكر المسلمين ، وأهلهم وأموالهم ، ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد ، فقصد موقع القيروان ، وكانت وحلة مشتبكة، بها من أنواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ، ثم نادى : «أيتها الحيات والسباع ، انا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارحلوا عنا ، فانا نازلون ، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه ، فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب والحيات تحمل أولادها وتنتقل، ورآه قبيل كثير من البربر فأسلموا ».

وحينما طال على المسلمين الأمد ، وقست قلوبهم ونسوا وتناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس ، وتوافر من بين أمم الارض ، وهو قوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله··)

وصاروا يعيشون حياة لاهية دنيئة ، حياة من لا يعرف نبيا، ولا يؤمن برسالة ووحي ، ولا يرجو حسابا ولا يخشى معادا ، وأشبهوا الأمم الجاهلية، التي خرجوا يقاتلونها بالامس ، عادوا فقلدوها في مدنيتها ، واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها ، وفي كثير مما مقتها الله لاجله وخذلها ، وابتلي المسلمون بتأثير الحضارةالغربية والدعايات الشرقية ، أصبحت بلادهم مالا سائبا لا مانع له، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس، وطعمة لكل آكل ، وظهر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يوشك الامم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الاكلة الى قصعتها » فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : «بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن»· قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : « حبالدنيا وكراهية الموت»·

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : «اذا تبايعتم بالعينة ، واتبعتم أذناب البقر،وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه منكم حتى ترجعوا الى دينكم »·

فهم تركوا الجهاد ، وطلبوا المدد من الاعداء، والحماية من الكفار ، والتكفف لديهم ، والالتجاء في مواقع الخطر اليهم، فهانوا اذاً على الله مع أسمائهم الاسلامية ورغم وجود الصالحين فيهم وظهور بعض الشعائر الدينية والواجبات الشرعية في بلادهم ··

يقول بعض المستشرقين : لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم، وجهلوا حكمه ، وأحكامه ، وعدلوا الى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من أراء الرجال ، فشا فيهم فساد الاخلاق ، فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض ، فتفرقت كلمتهم ، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة ، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها، ويشربون وينامون ، ثم لا ينافسون غيرهم فيفضيلة ·· وهذا واقع مشاهد يحسه كل مؤمن ،ويلمسه

كل غيور في كل أمة تخلت عن الجهاد ، وانغمست في الترف ، وعبادة المادة وحب الدنيا ..

يحدثنا التاريخ : ماذا فعل بالمسلمين أشقى الامم المغول والتتار ما يحزن القلب ، ويحرق الفؤاد ويبكي العين ...

ويقول ابن الاثير : لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها، فأنا أقدم اليه رجلا وأؤخر اخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمي لم تلدني ..ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ...

هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى ، التي عقمت الايام والليالى عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين ..

ثم ذكر من وهن المسلمين ، وتسلط أعدائهم عليهم .. فقال : دخلت امرأة من التتر داراوقتلت جماعة من أهلها ، وهم يظنونها رجلا ... ودخل واحد منهم دربا فيه مائة رجل ، فما زال يقتلهم

واحدا واحدا ، حتى أفناهم ، ولم يمد أحد يده اليه بسوء، ووضعت الذلة على الناس ، فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا ، نعوذ بالله من الخذلان ..

وحكى أن أحدهم أخذ رجلا ، ولم يجد ما يقتله به فقال له : ضع رأسك على هذا الحجر ، ولاتبرح فوضع رأسه وبقي الى أن أتى التتري بسيف وقتله .. قال وأمثال ذلك كثير ..

فالواجب على أهل الاسلام خصوصا العلماء منهم وولاة الامور ، أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم ، وأن يبثوا الدعوة لهذا الدين ، وينشروا محاسنه لنشئهم ، ليرغبوهم فيه ، ويرشدوا الامة لأحكامه وحكمه ، كما فعل اوائلهم الاماجد ،فانهم جاهدوا في الله حق جهاده ، وقاموا بالدعوة الى الله فبينوا للامم محاسن الاسلام وسماحته .. وبذلك امتد سلطانهم ، واتسعت ممالكهم ، وأخضعوا من سواهم لتعاليمه ، ولكن ما لبث ابناؤهم أن حرفوا ، فانحرفوا ، وتمزقوا بعدما اجتمعوا ،

واشتبه الحق عليهم بالباطل ، فتفرقت بهم السبل وأصبحوا شيعا متفرقين في آرائهم ، متباينين في مقاصدهم ، وكيف يحصل لهم الرقي ؟ وأنى يتسنى لهم التقدم ؟ وهم يقلدون الامم الكافرة·· يجرون وراءهم وينهجون نهجهم ، ويقلدونهم في الصغير والكبير والنقير والقطمير ·· يحكمون بين شعوبهم بقوانين وضعية ، ويصادمون الشريعة الاسلامية ، التي هي مصدر عزهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم ··

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) ··

نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفق جميع المسلمين الى ما فيه رضاه ··